

إشكاليات وقضايا في مواقف محمد ابن عبد الكريم الخطابي من الثورة الجزائرية

Problems and issues in the positions of Muhammad ibn Abd al-Karim al-Khattabi from the Algerian revolution

أ.د/ عبد الله مقلاتي *

Pr/ Abdalah Meguelati

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة – University of Mohamed Boudiaf M'sila

abdalah.meguelati@univ-msila.dz

معلومات المقال/History of the article		
القبول للنشر/Published	المراجعة/Accepted	الإرسال/Received
2019/12/30	2019/09/04	2019/07/12

الملخص:

استقطبت الثورة الجزائرية حلفاء كثر إلى صفها، مغاربة وعرب وفرنسيين وأجانب، وكل ذلك بهدف خدمة استراتيجياتها، ومن أجل تكريس وحدة المغرب العربي تحالفت مع الخطابي، وحققت هذه السياسة أهداف جمة، أفادت الثورة ودعمت حضورها المغاربي. فما هي دوافع عقد التحالف مع الخطابي، وكيف أفاد ذلك الثورة الجزائرية؟ وهل خدم سياستها المغاربية أم أعاقها؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه من خلال التعرف على مواقف وشهادات ووثائق محمد بن عبد الكريم الخطابي من الثورة الجزائرية، وخاصة ما تعلق بمساندته سياسيا في مشروع الوحدة المغاربية، وكذا تأييد قضاياها السياسية، ودعمها عسكريا.

الكلمات المفتاحية: الثورة، الجزائر، محمد بن عبد الكريم الخطابي، المغرب.

Summary:

The Algerian revolution attracted many allies to its ranks, Moroccans, Arabs, Frenchmen and foreigners, and all of it in order to serve its strategies. In order to consecrate the unity of the Arab Maghreb, it joined with the rhetoric, and these politicians achieved great goals, which benefited the revolution and supported its Maghreb presence. This is what we are trying to answer by identifying the positions, testimonies and documents of Mohamed Abdel-Kareem Al-Khattabi of the Algerian Revolution especially regarding his political support in the project of the

Maghreb Unity, as well as support for its political issues, And military support a.

Key words: Revolution, Algeria, Mohamed Ben Abdelkrim Al-Khatibi, Morocco.

مقدمة:

شكل تحالف الخطابي مع الثورة الجزائرية اتحادا وثيقا لجبهة الكفاح المسلح المغاربي المشترك، والتي تستند إلى المبادئ التي رفعتها لجنة تحرير المغرب العربي ونادت بها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وساهمت هذه الجبهة في بعث مشروع الكفاح المغاربي المشترك، وأعطت دعما سياسيا للثورة الجزائرية في مرحلة حاسمة من تاريخها، وبسبب ذلك يعد الخطابي من أخلص أصدقاء الثورة الجزائرية، وهذا ما نوضحه من خلال هذه البحث من خلال إبراز مواقف الخطابي من الثورة الجزائرية، وذلك استنادا إلى وثائق وشهادات جديدة.

أولا . الخطابي والتحالف من أجل الكفاح المشترك

لقد مثل الخطابي قبل اندلاع الأحداث المسلحة بالمغرب العربي توجها قائما بذاته يدعو إلى العمل العسكري المشترك، والتمسك بمبادئ لجنة تحرير المغرب العربي، ولما اندلعت الثورة الجزائرية زادت في تأكيد توجهه وخياره الثوري، والتقت مع أهدافه ومبادئه، وإن قراءة علاقة الثورة الجزائرية مع ابن عبد الكريم الخطابي . رغم توفر الوثائق¹ تظل قاصرة إن لم تفهم حيثيات الظروف ومنطلقات التصور وأبعاده.

لقد احتل الخطابي بنضاله وشخصيته مكانة سياسية بارزة²، فقد جمع بطل ثورة الريف زعماء المغرب العربي في القاهرة حول مشروع للكفاح المشترك في إطار مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي، وتفاعل مع أحداث وقضايا المغرب واحتضن فيما بعد التوجه الثوري ظرف حساس للغاية، الأمر الذي جعل كل الوطنيين المغاربة . كما يؤكد الأستاذ عبد الجليل التميمي . " يعلقون كبير الأمل على تبنى إستراتيجية جديدة تقضي بتفعيل المقاومة بكل إشكالها في الفضاء المغاربي بكامله"³.

إن مساندة الخطابي الصريحة لثورة الجزائر منذ الأيام الأولى لاندلاعها تكشف عن أمور كثيرة، أهمها أن أجواء التنسيق كانت مهياة من قبل، وأن صلة الوطنيين الجزائريين بالخطابي كانت

قوية، والتقوا معه في المبادئ وأسس العمل المغاربي المشترك، إذ كان الخطابي بدوره مؤمنا بالهوية الإسلامية والعربية لدول المغرب العربي وبوحدة كفاحها المسلح من أجل نيل الاستقلال التام، واعتمادا على مكانته لدى الجامعة العربية باشر تكوين وتدريب بعثات عسكرية طلابية في مصر والعراق، وأعد مخططات عسكرية عملية لبدء المقاومة في المغرب العربي، وهذا الأمر وطد صلاته مع الثوار الجزائريين، فأكد وفد حركة الانتصار بالخارج . الذي ازدرى النضال العقيم للأحزاب السياسية وملّ من الاختلافات والإخفاقات . ارتمائى في المخطط العسكري الشامل الذي يسنده الخطابي وتحبذه قيادة الثورة المصرية⁴.

إن الخطابي الذي تبنى خطة حرب التحرير منذ عام 1949⁵ قد قطع أشواطاً في تجسيد مخططه، فقد أرسل مبعوثيه إلى تونس والجزائر والمغرب للاستعلام، وبحث سبل إعداد الثورة وتنظيم جيوش تحرير المغرب العربي، ووجد في المناضلين الجزائريين خير معين، خاصة بعد القطيعة مع بورقيبة وفشل مشروع الضابط عز الدين عزوز في إعداد الثورة بتونس⁶ وازدياد هوة الخلاف مع قادة الأحزاب المغاربية⁷، وقد استبشر خيراً ببعثة حمادي العزيز والهاشمي الطود إلى الجزائر، إذ نقلا إليه استعداد الحركة الثورية لإعلان الثورة والتنسيق معه من أجل وحدة المعركة المغاربية⁸. واحتلت الجزائر في مشروع ثورة الخطابي مكانة هامة، فقد كان يعرف أنها مركز الاستعمار في المغرب العربي وأن مناضليها مصممون على الصمود في المعركة، فقد وافاه الهاشمي الطود ومحمد حمادي العزيز بتقارير مشجعة عن الوضعية في الجزائر⁹، ووصله بتاريخ 22 أبريل 1954 من وهران تقرير مفصل عن مراكز القوات الفرنسية ووضعية المجندين المغاربة وتوزيعهم على مختلف مناطق الجزائر¹⁰.

واهتم كثيرا بالعناصر الجزائرية المكونة ضمن البعثات الطلابية في الأكاديميات العسكرية المشرقية، وكانت تلك العناصر ذخرا لجيش التحرير الوطني فيما بعد¹¹، وقد أثارت مواقف الزعماء السياسيين في تونس والمغرب الريبة في نفوس رجال المقاومة، فتحفظوا عن الولاء للأحزاب السياسية، واستقلوا بمواقفهم التي تنسجم مع خطة التحرير التي رسمها الخطابي، وطموحات شعوب المغرب العربي في التحرر والاستقلال التام¹².

وكان الخطابي قد استقل بلجنة تحرير المغرب العربي منذ عام 1951، واختار لها الطريق الثوري المباشر ووجه اهتمامه للتحالف مع العناصر الثورية وتجسيده مخططة العسكري، وكلف شقيقه أحمد مسؤول لجنة الدفاع بالإشراف على اجتماعات الضباط المغاربة وتحضير الانتفاضة الشاملة في المغرب العربي، وفي أجواء هذه التحضيرات كانت العناصر الثورية الجزائرية تسعى لكسب الدعم المصري، وارتبط خيضر وأحمد بن بلة بصلة وثيقة مع لجنة الدفاع والضباط المغاربة، وشرعا في التنسيق الفعلي عشية اندلاع الثورة، وقد لقي المسؤولون الجزائريون كل الرعاية والدعم منه قبل أن تحتضنهم القيادة المصرية، وتدخل الخطابي مرارا لدى جامعة الدول العربية من أجل منحهم جوازات السفر ودعمهم ماليا للقيام بأسفارهم في أوروبا والتحضير لثورتهم¹³.

وتالت الاتصالات بين ابن بلة ورئيس لجنة تحرير المغرب العربي في بداية عام 1954، وكانت تهدف إلى توحيد جهود الأحزاب المغربية في مكتب المغرب العربي مع لجنة تحرير المغرب العربي وتنسيق المواقف بلورة عمل مشترك، يستجيب لتطورات المرحلة الحاسمة، والتأم الشمل برعاية جامعة الدول العربية والقيادة المصرية في اجتماع عام حضرته كل الأحزاب المغربية الكبرى يوم 3 أبريل 1954، لكن الاجتماع لم يتوج بمشروع موحد للكفاح المغربي وإن كان قد أكد على مسألة التعاون والتعاقد بين الأقطار المغربية الثلاثة¹⁴، وعلى إثر ذلك قرر الثوار الجزائريون بعد أن كسبوا دعم عبد الناصر المضي في تحضير ثورتهم مستعينين بلجنة تحرير المغرب العربي بعد أن فشلت محاولات توحيد الأحزاب المغربية الكبرى.

التقى بن بلة وخيضر مع محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه أحمد، واتفقوا على دراسة خطة موحدة لمباشرة الثورة في كامل المغرب العربي، وفي شهر ماي 1954 وضعت خطة عمل مفصلة مطابقة لتصور الثوار الجزائريين والضباط المغاربة المساعدين للخطابي، وأساسها مباشرة العمل الثوري في إطاره الموحد بهدف تحقيق الاستقلال التام لبلدان المغرب العربي، وتنسيق مخطط العمل بين ضباط لجنة تحرير المغرب العربي ووفد الثورة الجزائرية في الخارج، وعليه انتقل أحمد بن بلة رفقة محمد حمادي العزيز إلى طرابلس في أوت 1954 ومعه توصيات الزعيم ابن عبد الكريم الخطابي للضباط المغاربة في تونس وطرابلس بتنسيق العمل المشترك، ووضع جميع

إشكاليات وقضايا في مواقف محمد ابن عبد الكريم الخطابي من الثورة الجزائرية

الإمكانيات تحت تصرف أحمد بن بلة¹⁵. وفي طرابلس نجح أحمد بن بلة في الاتفاق مع محمد حمادي العزيز وعز الدين عزوز على إنشاء قيادة موحدة لجيوش تحرير المغرب العربي، والتحضير للعمل المسلح وفق المبادئ التي تبناها الخطابي¹⁶.

إن هذا الاتفاق المبرم مثل أهمية بالغة في مسيرة لجنة تحرير المغرب العربي، وجاء عشية تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954، وعقب أحداث دولية وإقليمية بالغة الأثر على أوضاع المغرب العربي¹⁷، وقد واجهت تجسيده صعوبات ميدانية ناتجة عن قلة الاستعدادات وارتباط المقاومين في داخل تونس والمغرب بالأحزاب السياسية، وقد كلف محمد حمادي العزيز بالانتقال إلى منطقة وهران، وربط الصلة بين قيادتي جيش التحرير الجزائري وجيش التحرير المغربي. الذي سينشأ. مع تولي مسؤولية المراقب العام لجيش التحرير الوطني¹⁸، وفي هذا تأكيد على تجسيد البنود المتفق عليها ميدانيا، غير أن الظروف المستحثة لم تسمح لهذا الجناح بإرساء تنظيم ميداني قوي في تونس والمغرب، ولكن اندلاع الثورة الجزائرية أتاح للتوجه السياسي الذي ناد به الخطابي أن يتدعم أكثر.

ثانيا . الثورة الجزائرية وتفعيل مرجعية الخطابي مغاريا

لقد شكل اندلاع الثورة الجزائرية حدثا مهما في المغرب العربي تفاجأت به الأحزاب السياسية المغاربية التي كانت تشكك في عزيمة الجزائريين على الثورة، وهلل له ابن عبد الكريم الخطابي واعتبره حلقة من مشروعه الثوري، وتتويجا لوحدة المغرب العربي، لقد تأكد الخطابي من صدق نوايا الثوار الجزائريين في شن الثورة المسلحة ومقارعة الاستعمار بالسلاح والنار، ويوضح المناضل التونسي يوسف الرويسي الذي وقف إلى جانب الخطابي يدعم ويؤازر خطه الثوري أن الثورة الجزائرية جاءت لترضي مطامح الخطابي الذي كان يرى فيها انتصارا لأفكاره ومحصلة لوجهات نظره¹⁹.

لقد عبر الخطابي عن موقفه الصريح من الثورة الجزائرية بعد عشرة أيام من اندلاعها في ندائه الموجه إلى مجاهدي المغرب العربي عبر "صوت العرب"، دعا فيه القادة الثوريين والضباط والجنود المكافحين وشعب المغرب العربي بمختلف فئاته إلى الوقوف صفا واحدا ضد طغمة الاستعمار الجائرة، وخص الجزائريين بالقول: "أيها الجزائريون نحن جميعا ما كنا نود في يوم من

الأيام أن تصل الحالة في شمال إفريقيا إلى هذه المرحلة الدامية، ولكن رغبة جماعة المفسدين من الفرنسيين في الفتنة هي التي جعلتكم وجعلتنا جميعا ننفجر، فنهضتم تدافعون هذا الدفاع المبارك المجيد، ونزلتم إلى الميدان الذي تريده الجماعة الضالة جماعة المخربين الذين سمو أنفسهم معمرين...²⁰، وتضمن هذا البيان مباركة وتأييدا صريحين لثورة الجزائر، وتأكيذا على الاتحاد والتضامن المغربي وأن ثورة الجزائر هي ثورة جميع المغاربة، انتهجت الخيار الأسلم لتقف في وجه المفاوضات التي لم تجد نفعاً، "فسدوا معهم (المغاربة) باب المفاوضات، واجعلوا شعاركم لا مفاوضة بعد اليوم، واعلموا علم اليقين أنهم لا يثقون بكم سالمتم أو حاربتهم، فلا تثقوا بهم ولا تجعلوا معهم عهداً ولا ميثاقاً" ²¹، وتوجه الخطابي بالنصح للمغاربة: "اتحدوا ورتبوا صفوفكم ولا تسمعوا لما يعرضونه عليكم من المهادنة فما هي إلا خدعة وتضليل وكسب للوقت، وما هذه الأشياء إلا حيلة تدل دلالة قاطعة على عجز هذه الجماعة وخوفها وعنوانا من عناوين مصيرها الأسود النهائي...²²، وتوجه إلى التونسيين بكلمة نبه فيها إلى خدعة المفاوضات الرامية إلى فصل كفاح التونسيين عن كفاح إخوانهم الجزائريين والمراكشيين، وطلب الخطابي من الجنود المغاربة المجندين في الجيش الالتحاق بإخوانهم المجاهدين لتحرير وطنهم، والتمس من الأحرار الفرنسيين أن يتفهموا القضايا التحررية لأبناء الشمال الإفريقي، وختم كلمته مؤكداً على الوحدة والتعاقد في مقارعة الاستعمار والحذر من خديعته وتضليله²³.

ونشط الخطابي في الدعوة إلى نصرة القضية الجزائرية، فكتب الملوك والرؤساء وخطب في المحافل والتجمعات، ورفع العديد من المذكرات، إذ قدم مثلاً مذكرة إلى الجامعة العربية بتاريخ 26 نوفمبر 1954 نوه فيها بأهمية اندلاع الثورة الجزائرية على قرب نهاية الاستعمار، وحمل البلدان العربية مسؤولية الدفاع عن بلاد المغرب العربي مطالباً منها الدعم والمساندة بالسرعة اللازمة التي تفوت على العدو أهدافه الخطيرة²⁴.

لقد أحدث اندلاع الثورة الجزائرية اضطراباً في مواقف الأحزاب المغربية خاصة الحزب الدستوري التونسي، الذي قطع شوطاً في التفاوض مع فرنسا وطالب من المقاومين تسليم أسلحتهم، وقد يؤسست الثورة الجزائرية والخطابي من موقف بورقيبة والأحزاب السياسية المغربية التي كانت تأمل في حل سلمي لقضايا المغرب العربي عن طريق المفاوضات الثنائية، وتركزت

جهود الوفد الخارجي للثورة الجزائرية والخطابي على بعث المبادئ الثورية، والعمل بميثاق القيادة العامة لجيوش تحرير المغرب العربي، وكان وضوح الأهداف بالنسبة لكليهما يدعو إلى تسريع إنشاء جيش التحرير التونسي وجيش التحرير المغربي اعتمادا على العناصر الثورية بدلا من الأحزاب السياسية والمضفي في توحيد المعركة وتجاوز الحلول التفاوضية التي تغري الأحزاب السياسية في تونس والمغرب، فهل نجحت مساعيها وهل تجسد هذا الخيار ميدانيا ؟

إن جيش التحرير التونسي وجيش التحرير المغربي ولدا رسميا . كما سيأتي توضيحه . بعيدا عن تأطير ابن عبد الكريم الخطابي، وعلى الرغم أن تأثيرات توجهه كانت بالغة على المقاومين في تونس والمغرب إلا أن الأحزاب السياسية سرعان ما احتوت عناصر المقاومة جانبية بذلك ثمار النصر، ومنتهزة الوضع المستجد بعد اندلاع الثورة الجزائرية لتحقيق مطامعها السياسية ²⁵.

لقد نجح مخطط القيادة العامة لجيوش تحرير المغرب العربي ميدانيا في إرساء قاعدة خلفية في طرابلس اعتمادا على المناضلين التونسيين الموالين لتوجه الخطابي، وعلى رأسهم عز الدين عزوز وعلي الزليطي وعبد العزيز شوشان، وكانت الفكرة آنذاك هي محاولة وضع ما يسمى بالكفاح المسلح المشترك خارج الأطر الحزبية، والأمير الخطابي رحمه الله كان يرى أو يعتقد أن الأحزاب قد استنفذت تقريبا وجودها... " ²⁶، ويشيد بشير القاضي بأعمال التنسيق التي تمت في إطار جيوش تحرير المغرب العربي خاصة بين ابن بلة والهاشمي الطود وعبد العزيز شوشان، والتي مست البحث عن الأسلحة وشرائها، وتنظيم شبكات تمريرها إلى الجزائر بواسطة المناضلين التونسيين ²⁷.

وقد تأجج حماس المناضلين التونسيين للحل الشمولي الذي ناد به الخطابي، وتأكد في المغرب ضرورة المضفي في الكفاح المسلح وتنسيق العمل مع الثوار الجزائريين، وإن لم تكن قيادة الثورة الجزائرية في منأى من استغلال سمعة الخطابي وشخصيته الدولية، فبدوره كان الخطابي مغتبطا بما تحفقه الثورة الجزائرية من نجاح ويأمل في تجسيد مشروعه المغاربي الكفاحي على حساب خيارات التفاوض السلمية، ولا يتردد في مباركة نفسه زعيما وقائدا لجيوش تحرير المغرب العربي ²⁸، فهل كان الرجل مثاليا إلى أبعد الحدود؟ وكيف وظفت الثورة الجزائرية سمعته لتحقيق أهدافها؟ لقد واصل الخطابي نشاطه في القاهرة، ينسق المواقف الثورية ويربط الصلات الوثيقة مع الجامعة العربية والقادة والزعماء، ويوجه نداءات الجهاد إلى أهالي المغرب العربي وإلى العلماء

والأعيان والساسة، ويدعو في اللقاءات والصحف والنداءات إلى الوحدة والتكاتف ومواجهة المستعمر بواسطة الكفاح المسلح والقطيعة النهائية معه ومع أعوانه.

وقد عد الخطابي الساسة المغاربة المفاوضين للعدو خونة لكفاح المغرب العربي المشترك ومتواطئين مع المستعمر في وأد جذوة الحماس والجهاد الذي كان قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافه والقضاء النهائي على المستعمر، وأكد أن المغرب العربي لن يحقق استقلاله الحقيقي إلا بنجاح القادة الثوريين في تحقيق أهدافهم وإزاحة المعارضين لهم من السلطة²⁹، ويبدو أن الخطابي كان مغاليا في موقفه، فهل كان مثاليا يأمل في ثورة جماهيرية تزيع القادة والسياسيين عن السلطة وتتوجه زعيما؟

يبدو أن الخطابي الذي كان بعيدا عن الميدان ويدير معركته من القاهرة لم يكن مطلعاً على واقع ما آلت إليه الأوضاع، وكان ما يزال مغترا بزعامته وبنفوذه، لقد استحضر محمد البصري تجربته وحكم عليه قائلاً: "إن رجلاً بهذا الحجم انقطع إلا من موقع واحد هو القاهرة، مما جعل من السهل عزله وإبقائه على مسافة من الأحداث والوقائع والمعطيات"³⁰، وأن هذا البعد عن الميدان جعل الخطابي لا يجاري الأوضاع المستجدة ولا يطلع على كثير من الحقائق الميدانية، وقد انتقد كثيراً من المناضلين والمؤرخين خطته الكلاسيكية في الحرب وحكموا بعدم ملاءمتها لأسلوب الكفاح المتبع في العشرينيات مع ظروف الخمسينات من القرن العشرين³¹، ومما يؤكد مثالية الخطابي أنه لم ينشئ جيشاً مالياً له يأتمر بأوامره، وكل ما شاده هو تكوين عناصر من الضباط ونشر الدعاية لمخططة الحربي وكسب عواطف السكان، وهذا لا يضمن له القوة الحقيقية والحضور الفعلي.

وقد كانت الثورة الجزائرية تهدف للاستفادة من البعد المغربي لكفاح الخطابي، ولم ترم استغلال شخصه بقدر ما هدفت إلى خدمة إستراتيجية توحيد المعركة في المغرب العربي، وقد ساندتها في ذلك الخطابي بكل قواه المادية والمعنوية، وفي الوقت نفسه اجتهدت في كسب الأحزاب الوطنية وفرن المقاومة المسلحة لتدخل معركة موحدة تخدم أهداف الثورة الجزائرية، وتحقق الدعم السياسي لمشروع وحدة المغرب العربي³².

وقد حمل الخطابي على الأحزاب السياسية التي تجاوزت مشروع وحدة الكفاح حملة عدائية شديدة، ودعا الشعوب وعناصر المقاومة إلى مواصلة المعركة وتوحيدها مع الجزائريين، وبذلك كفى الثورة الجزائرية في الرد على هذه التوجهات القطرية خاصة أمام حساسية علاقتها مع فصائل المقاومة والأحزاب السياسية، وكانت علاقته مع قيادة الثورة في الخارج ودية، فهو يعمل وينسق مع ابن بلة وخيضر في إطار لجنة تحرير المغرب العربي، ومع الزعماء الوطنيين الآخرين المتواجدين في القاهرة، ويبدو أن تحالفه مع قيادة جبهة التحرير الوطني ظل صوريا، إذ لم يحصل الاتفاق على مشروع للوحدة نظرا لبعض الاختلافات السياسية، فقد وقع الاتفاق على وحدة المعركة واستمرارها في كامل أقطار المغرب العربي حتى يتحقق الاستقلال التام، وتم التأكيد على البعد الإسلامي والقومي لكفاح المغرب العربي، لكن بعض القضايا أثارت حفيظة قادة الثورة الجزائرية، كمسألة تعامل الخطابي مع العناصر المناوئة للثورة، وعدائه المعلن للأحزاب السياسية في المغرب العربي خاصة حليفها حزب الاستقلال والموقف من الأسبان، والاختلاف في خطط العمل الميدانية، وبعض هذه المسائل أشار إليها خيضر عندما وصف علاقة الخطابي بالثورة الجزائرية مجيبا عن تساؤلات قيادة الداخل قائلا: "...إن الخطابي كما تعلمون اتخذ موقفا عدائيا علنيا معلنا من جميع الأحزاب السياسية وعلى الخصوص حزب الاستقلال، وفيما يخص الجزائر كان يطبع موقفه التعاطف دائما، لذلك كان لنا معه في كل وقت علاقات جيدة جدا ما عدا خلال الأزمة التي اجتزناها هنا (القاهرة) وتسببت فيها مناورات مزغنة والشاذلي"³³.

والحقيقة أن الخطابي لم يكن مطلعاً على خصوصيات الثورة الجزائرية وأسرارها التي كانت حكراً على ممثلي الوفد الخارجي، ولم يأخذ في دعوته لوحدة صف الوطنيين الجزائريين اعتباراً للتباين الموجود بين جبهة التحرير الوطني وجمعية العلماء المسلمين وبينها وبين الحركة المصالية المناوئة، وكانت علاقته حميمة مع الشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني ومع العناصر الوطنية الأخرى المتواجدة في القاهرة، واستغل أنصار مصالي الشاذلي المكي ومزغنة صداقتهم معه لضرب جبهة التحرير الوطني في الصميم، وقد طرح الوفد الخارجي للجبهة على ممثلي التشكيلات السياسية مشروعاً لتأسيس جبهة جزائرية موحدة، ولكن بشرط الاعتراف أولاً بجبهة التحرير الوطني والالتزام ثانياً بالعمل المسلح ووحدة الكفاح في المغرب العربي، وبذلت مساعي حثيثة

أسهم فيها المسؤولون المصريون وكذا الزعيم الخطابي، وتم تجاوز الخلافات مع الشيخ البشير الإبراهيمي ورضي ممثلو مصالي بمشروع الاتفاق الموحد للهيئات الجزائرية، وصادق الجميع على ميثاق جبهة التحرير الجزائرية يوم 18 فيفري 1955، وسر الخطابي كثيرا بتحقيق هذه الوحدة وإصرار الجزائريين على مواصلة الكفاح وتوحيد المعركة المغاربية، وقد تحدث فتحي الديب عن ظروف إنجاز هذا الاتفاق ومساعي أحمد بن بلة وخيضر لتجاوز العقبات³⁴، ونشر الفضيل الورتلاني وثيقة الاتفاق منذ عام 1956، ولكنه يحددها بتاريخ 5 فيفري 1955، ويوضح أن أول من وقعها محمد بن عبد الكريم الخطابي وشقيقه أحمد والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والفضيل الورتلاني، وأحمد بيبوض، والشاذلي المكي، وذكر أن الوثيقة تبقى مفتوحة ليوقعها المسؤولون الجزائريون³⁵.

وفي أكتوبر 1955 ظهر للعيان تحالف جيش التحرير الجزائري مع حركة المقاومة المغربية وتشكيلهما لجيش تحرير المغرب العربي، وقد راهنت جبهة التحرير الوطني على خصم الخطابي علال الفاسي، الذي كان يوجه من القاهرة حركة المقاومة، فهل أثار الخطابي مواقف تدعو إلى التحفظ وتחדش علاقاته مع الثورة الجزائرية؟ يبدو أن الخطابي لم يكن مطلعاً على طبيعة هذه العلاقة ويشكك في ولاء المقاومين لحزب الاستقلال، وأنه اعتقد أن مشروعه هو الذي يتجسد تلقائياً في الميدان، وأن جماهير الريف هبت للجهاد استجابة لدعوته.

وعلى ضوء مواقف الخطابي تساءل عبان رمضان مستغرباً: "كيف يجوز للأمير عبد الكريم أن يكون ضدنا"³⁶، وأجابه محمد خيضر المتابع لملف العلاقة مع الخطابي عن استغرابه موضحاً كثيراً من النقاط المهمة وأسباب فتور العلاقة الجيدة معه لمدة ثلاث أشهر، مرجعاً ذلك لانخداع الخطابي بمبعوثي مصالي، وحساسية العلاقة معه في ظل تحالف جبهة التحرير الوطني مع علال الفاسي، إذ أكد خيضر أن العلاقة مع حزب الاستقلال وحركة المقاومة في هذه المرحلة أولى من ورقة الخطابي، وأشار إلى حقيقتين مهمتين، هما أن الخطابي لا يرضى بدور متواضع ويريد منافسة حزب الاستقلال، وأن أعوانه المحيطين به لا يوثق بهم، وأكد خيضر أن الخطابي يقف مع الثورة الجزائرية دائماً، لكنه بحسن نيته وتعامله مع الجميع انخدع بدسائس أحمد مزغنة والشاذلي المكي اللذين صورا له مصالي زعيماً للثورة، ولما اتضحت للخطابي الأمور على حقيقتها أفصح

عن خطئه وعبر عن دعمه لجهة التحرير الوطني " إن عبد الكريم ليس ضدنا وعلى الأقل لم يكن أبداً ضد حركتنا بل بالعكس وإن كان في وقت معين ذهب ضحية أكاذيب الشاذلي ومزغنة اللذين أكدا له أن مصالي هو الذي أعلن هذه الثورة وهو الذي يراقبها، وأكثر من ذلك أكدا له بأن مصالي كلفهما بالسهر شخصيا على مصالح الجزائر، وأنه يعطيه الإذن الصريح للعمل والحديث باسم الثورة الجزائرية في أي مكان يراه ضروريا، وقد انخدع عبد الكريم لحسن نيته، وصدق أكاذيبهما وتوطدت علاقته مع هذين المحتالين ومع الإبراهيمي وشركائهم، وهو ينوي استخدام هذا التفويض لكي يخرج في وقت واحد من العزلة التي يعيش فيها منذ سنوات، ويرد الضربة لحزب الاستقلال الذي يشعر نحوه بالنفور، واستمر الأمر كذلك لمدة شهرين أو ثلاثة ثم اتضحت الأمور وتراجع عن أخطائه واليوم فإن الأمر لا يتوقف إلا علينا لكي نجعله يسير في أي اتجاه نريده" ³⁷، ونبه محمد خيضر إلى أن العلاقة مع الخطابي أصبحت تطرح مشكلا عويصا في ظل الظروف المستجدة، فالتعاون معه يغضب قادة حزب الاستقلال الذين قبلوا بتوحيد جبهة المقاومة المغربية مع الثورة الجزائرية، ويؤثر على الموقف الحيادي لإسبانيا، والأفيد للثورة الجزائرية في هذه المرحلة هو عدم لفت أنظار الطرفين (حزب الاستقلال والاسبان) إلى العلاقات الودية مع الخطابي.

ونبه خيضر كذلك الى مسألة مهمة تتمثل في ضرورة الاحتراز من الاختراقات التي يتعرض لها الخطابي ومحيطه، خاصة وأنه لا يأبه بأي شيء في مقابلاته وتصريحاته، "حالة عبد الكريم تطرح مشكلا آخر هو أيضا مشكل حساس، ففضلا عن أن تعاوننا معه يؤدي إلى نفور أصدقائنا في الاستقلال فإن محيط عبد الكريم (أي أبنائه) هو محيط فاسد والحال أن عبد الكريم لا يستطيع أن يخفي شيئا عن أبنائه هذا من جهة ومن جهة أخرى أنكم لا تجهلون بلا شك كم يفيدنا الموقف الحيادي لإسبانيا في الساعة الحاضرة لكن ما هو مؤكد بصفة مطلقة هو أن ابن عبد الكريم يمثل بالنسبة لإسبانيا ما يمثله الشيطان بالنسبة للملائكة والعكس صحيح" ³⁸، وخلص خيضر إلى أن الخطابي يمثل طرفا مهما في العلاقات المغاربية، وورقة رابحة يجب استعمالها بشكل جيد وفي الوقت المناسب، ومن خلال هذا التقرير نخلص للتأكيد أن قيادات الثورة الجزائرية كانت تدبر علاقاتها المغاربية باحترافية، باعتبار أنها وازنت في علاقتها مع الخطابي أهمية الحفاظ

على العلاقة مع الأطراف المغربية الأخرى، وانتبعت إلى حقيقة إن محيط الخطابي مخترق، ونموذج "تسلل" الشيخ العيادي بصفة انه معارض لبورقيبة خير مثال على ذلك، وهذا الأمر مكن الثورة الجزائرية من الحفاظ على إسرارها في حين اكتشفت أوراق ومخططات الأمير الخطابي³⁹.

ويبدو أن الخطابي لم يعد بعد أن تحالفت الثورة الجزائرية مع علال الفاسي وحركة المقاومة المغربية الطرف الأكثر أهمية في العلاقات الجزائرية. المغربية، وقد توجب على جبهة التحرير الوطني ألا تظهر ذلك لأن الرجل لا يقبل بأن يتجاوز ولا يقنع بدور متواضع، فحافظت معه على العلاقات الودية ولو ظاهريا، "ومن المستحيل إذن استخدام ورقة عبد الكريم دون فقدان الورقة الأخرى الأكثر أهمية في الوقت الراهن لاسيما وأن عبد الكريم لا يقنع بدور متواضع أما بشأن علاقتنا معه فهي علاقات ودية"⁴⁰، وهكذا يمكننا التشديد على أن الثورة الجزائرية وجدت في الخطابي الحليف المثالي في دعم مشروعها المغاربي الثوري، وخاصة خلال مرحلة اشتداد المقاومة في تونس والمغرب، وقبول الأحزاب السياسية في تونس والمغرب بمشروع الاستقلال القطري.

الخاتمة:

على ضوء ما سبق عرضه يمكن استخلاص ما يلي:

- إن مشروع لجنة تحرير المغرب العربي الذي ناضل الخطابي من أجل تحقيقه التقى مع البعد المغاربي الذي تبنته الثورة الجزائرية، ومثل خيارا استراتيجيا اجتهد الطرفان في تجسيده ميدانيا.
- إن مرجعية الخطابي النضالية أفادت الثورة التحريرية في جوانب تنظيمية وميدانية هامة منها الدعم السياسي لمشروع وحدة كفاح المغرب العربي، والضغط على الأطراف السياسية المغاربية لتقديم دعمها للثورة الجزائرية.
- لقد ارتبط الخطابي بالثورة الجزائرية طوال سنواتها المتعاقبة، ولم تكن المصلحة المتبادلة لوحدها توجه علاقتهما بقدر ما كان الإجماع حول إنجاح المشروع النضالي الثوري الهادف إلى التحرير الشامل وتوحيد المغرب العربي، وهي مواقف ايجابية عبر عنها الزعيم ابن عبد الكريم الخطابي.

الهوامش:

1- أميط اللثام مؤخرا عن مجموعة وثائق وشهادات تفيد في دراسة طبيعة هذه العلاقات المتشعبة، ومنها أساسا: مراسلات قادة الثورة الجزائرية التي نشرها مبروك بلحوسين، والوثائق المؤرخة لنشاط الخطابي ومنها مذكراته المطولة، والتي

إشكاليات وقضايا في مواقف محمد ابن عبد الكريم الخطابي من الثورة الجزائرية

نشر مقتطفات منها الباحث محمد أمزيان، أنظر، محمد أمزيان: محمد عبد الكريم الخطابي، اراء ومواقف 1963.1926،
ط1، مطبعة كوثر، الرباط، 2002. وكذا

BELHOCINE Mabrouke: Courier –Alger- le Caire 1954-1956 et le congré de la Soumam dans la revolution, Casbah, Alger,2000 ;

2- للتعرف على كفاحه ومواقفه، أنظر مجموعة باحثين: الخطابي وجمهورية الريف، ترجمة، صالح بشير ، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ونشير إلى الكم الوافر من الأدبيات التي أرخت لهذا البطل العالمي وقد رصد الباحث صطفى اللوب 1969 مؤلفا ومثا ودراسة عن الأمير الخطابي ، دون أن يتعرض لمقالات الصحف التي يصعب حصرها ،أنظر مجموعة باحثين :لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر الأبعاد والدلالات الوطنية والدولية، ندوة دولية، الحسيمة، 2004، منشورات المندوبية س ق م ا ح ت ، مطبعة فيد برانت، الدار البيضاء، 2004 ، ص 79.

3- أنظر، عبد الجليل التميمي: تحرير المغرب العربي: تقاطع قناعات ومبادئ كل من الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والزعيم الحبيب بورقيبة، مداخلة في أعمال المؤتمر الدولي الخامس حول: نهاية حكم بورقيبة والقيادات السياسية العربية بين الصمود والانحدار، منشورات مؤسسة التميمي، 2005، ص. ص 113. 115.

4- أنظر عامر رخيعة: البعد المغاربي في الحركة الوطنية الجزائرية 1958.1926، اطروحة دكتراه، قسم العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1997، ص 326 وما بعدها.

5- أنظر تفاصيل الخطأ، أحمد أمزيان: المرجع السابق، ص. ص، 225. 236.

6- Azzedine AZOUZ: L'Histoire ne pardonne pas، Tunisie; 1932-1969 ،L'Harmattan ،Paris 1981، .p123.

7- أنظر، عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص. ص 118. 121، ومجموعة باحثين: لجوء محمد ابن عبد الكريم الخطابي إلى مصر، مرجع سابق، ص. ص، 79. 86.

8- التقيا بمهري عبد الحميد الذي جمعهما ببوضياف وبودة في الجزائر خلال أوت 1954. أنظر، شهادة مهري عبد الحميد، مقابلة مع الباحث، الجزائر، يوم 7 اوت 2005، ومهري عبد الحميد: أحداث مهدت لفتح نوفمبر، مجلة الأصدال، السنة 3، ع 22 (أكتوبر - ديسمبر 1974)، الجزائر، ص. ص، 16. 17.

9- أنظر محمد حمادي العزيز: جيوش تحرير المغرب العربي، هكذا كانت القصة في البداية، منشورات المندوبية س ق م أ ج ت، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2004، ص 125.

10- أنظر التقرير في أحمد أمزيان: المرجع نفسه، ص، ص 237، 236.

11- حسب الإحصائيات التي قمنا بها أعدادهم كانت على الشكل الآتي: في الدفعة الأولى عام 1951 جزائري واحد من بين 4 مغاربة، وفي الدفعة الثانية في سنة 1954 ثمانية عشر مغربيا وثلاث جزائريين وتونسي واحد، وتلتها في عام 1955 عدة دفعات عناصرها في الغالب جزائريين.

12- أنظر محمد حمادي العزيز: المصدر السابق، ص 128 وما بعدها.

- 13- محمد حمادي العزيز: المصدر نفسه، ص126، وشهادة بن بلة، بن بلة احمد: مذكرات احمد بن بلة، ترجمة العفيف الاخضر، ط2، دار الآداب، بيروت 1979، ص. ص 94. 95.
- 14- أنظر فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص. ص 24. 28.
- 15- Mohammed LEBJAOUÏ ; **Verité sur le révolution Algerienne** ,ed; Gallimar, Paris, 1970. p 12.
- 16- محمد حمادي العزيز: المصدر السابق، ص. ص 152 - 161 و
Azzedine AZOUZ : **op cit** ;p-p 185-186
- 17- وتشير المصادر الجزائرية المقرية من ابن بلة إلى حصول هذا الاتفاق أنظر،
M'hamed YOUSFI **L'Algerie en marche**, ENAL, Alger, t 2 p 145 1985
- 18- محمد حمادي العزيز: المصدر نفسه، ص 183.
- 19- أنظر شهادته، مجموعة مؤلفين: الخطابي وجمهورية الريف، مرجع سابق، ص 418.
- 20- انفراد الفضيل الورتلاني بنشر هذا البيان، وكان مقربا من الزعيم الخطابي هو والشيخ الإبراهيمي، أنظر الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 1992، ص229.
- 21- الفضيل الورتلاني: المصدر نفسه، ص 230.
- 22- المصدر نفسه.
- 23- المصدر نفسه، ص. ص 231 _ 232.
- 24- أنظر المذكرة المؤرخة في 29 نوفمبر 1954، محمد أمزيان: المرجع السابق، ص. ص 248 - 250.
- 25- اشفورد دوجلاس: التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمة، عابدة عارف واحمد أبو حاكم، دار الثقافة، بيروت، 1963، ص 118.
- 26- أنظر شهادة بشير القاضي: جيش التحرير المغاربي 1948.1955، اشغال ملتقى نظمته مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 12.11. 2001، منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص 169.
- 27- المرجع نفسه.
- 28- أنظر عثمان بناني: محمد بن عبد الكريم ومسألة استقلال المغرب، مجلة أمل، مجلة فكرية مغربية، ع 8 (1992) ص147.
- 29- أنظر أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، مذكرات، الجزء الثالث، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص230.
- 30- محمد البصري الفقيه: كتاب العبرة والوفاء، حوار سيرة ذاتية مع حسن نجمي، ط1، مؤسسة محمد الزرقطوني، الدار البيضاء، 2002، ص149.

إشكاليات وقضايا في مواقف محمد ابن عبد الكريم الخطابي من الثورة الجزائرية

- 31- محمد زنيير: صفحات مطوية من الوطنية المغربية، من الثورة الريفية الى الحركة الوطنية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1990، ص35، ومجموعة مؤلفين: الخطابي وجمهورية الريف، مرجع سابق، ص408.
- 32- أنظر شهادة بشير القاضي: جيش التحرير المغربي 1948.1955، مرجع سابق، ص 170.
- 33- أنظر رسالة محمد خيضر إلى عبان رمضان بتاريخ 15 ماي 1956
- Mabrouk BELHOCINE . **op cit** p135.
- 34- أنظر فتحي الديب: المصدر السابق، ص. ص، 78.76، وقد نشر بنود الاتفاق في ملاحق الكتاب.
- 35- أنظر الفضيل الورتلاني : المصدر السابق، ص 219.
- 36- أنظر رسالة عبان رمضان للوفد الخارجي للجبهة بتاريخ 08 أكتوبر 1955 Mabrouk BELHOCINE . **op cit** ، p96
- 37- أنظر رسالة خيضر الى عبان السابقة
- Mabrouk BELHOCINE.: **op cit** ، p 96
- 38- **Ibid**.
- 39- أنظر عن حادثة اختراق الشيخ العيادي لمخطط الامير الخطابي بصفة منتحلة من اجل كشف مخططات اليوسفيين لصالح بورقيبة، عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص. ص 121.125.
- 40- Mabrouk BELHOCINE . **op cit** . P 96.